مدينة سامراء في العهد العثماني حتى عام ١٩١٧

ا.م.د. علاء طه ياسين النعيمي
كلية التربية / جامعة سامراء

المقدمة

تعددت الدراسات العلمية في مجال التوسع العمراني لمدينة سامراء ، حتى اصبح المسؤولون المعنيين في تخطيطها في حيرة تجاه ذلك التوسع ، علماً ان سامراء في العصر العباسي كانت اوسع من المدينة الحالية . كما تعد مدينة سامراء من الاماكن المهمة في العالم لما تحتويه من شواخص حضارية ذات عمق تاريخي واضح الدلالة اذ العمارات الاسلامية القديمة ، وفيها الايوان والمعشوق المسمى ببناء الكمرك والجامع الكبير ومأذنة الملوية وجامع المتوكلية (ابو دلف) وسور اشناس وسور عيسى ، وسور جبيرية ، وتل العليق ، والقائم ، وقلعة القادسية، فضلاً عن ما تكنزه من اللقى الاثرية للحضارات القديمة التي كانت على ارضها ضمن حضارة وادي الرافدين الموجودة في مناطقها تطابق ما موجود في حضارة وادي النيل . كذلك ان مدينة سامراء اهمية خاصة عبر الازمنة كونها افضل المشاريع لدرء اخطاء فيضانات نهر دجلة التي يمكن ان تحدق ببغداد .

شهدت مدينة سامراء توقفاً عمرانياً بعد انتقال مركز الخلافة العباسية منها الى بغداد ولا سيما عندما تركها الخليفة المعتضد بالله راجعاً الى بغداد ، فلن يبقى فيها (سامراء) موضع شامخ سوى المواقع التي كان يصدر منها القرار السياسي والبيوتات المحيطة ، واصبحت كالقرية. اما خرابها فانه يستوحش الناظر اليها ولا يميزها عن مثيلاتها من المناطق الخربة الا مرقدي الامامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام .

تعرضت مدينة سامراء الى الاعتداء من قبل الغزاة ، كالمغول الذين خربوا دورها ولم يبق من مدنيتها الا القليل، بينما دخل الامير حسن الكبير الجلائري مدينة سامراء عام (١٣٤٩ م) وازال اثار الخراب والاهمال الذي تعرضت له المدينة سابقاً ، وامر باصلاح مرقدي الامامين ومنائرهما .

تعرض العراق بعامة ومدينة سامراء بخاصة للسيطرة العثمانية فاصبحت مدينة سامراء مكاناً للصراع العثماني الفارسي بسبب موقعها المؤدي الى بغداد فضلاً عن طيبة العيش فيها لما تحمله من صفات خاصة بهذا الشأن .

واشتمل البحث على عناوين رئيسة هي : سامراء في ظل الصراع العثماني الفارسي ، الحياة الاقتصادية لمدينة سامراء حتى عام ١٨٧٦ م ، ومدينة سامراء في تنظيمات السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ . ١٩٠٩ م) ، الحياة الثقافية في مدينة سامراء (١٨٧٦ . ١٩١٧ م) والاوضاع في مدينة سامراء حتى عام (١٩١٨ م) ويمكن قراءة هذه العناوين من خلال تتبع صفحات هذا البحث .

سامراء في ظل الصراع العثماني . الفارسي

خضعت المنطقة الشمالية العراقية الى الحكم العثماني بصورة فعلية اثر الانتصار على الشاه اسماعيل الصفوي [١] الذي اهتم بمرقدي علي الهادي والحسن العسكري في مدينة سامراء وأمر بعمارة المرقدين من الداخل ، كما ان الشاه طهماسب الصفوي [٢] قد دخل المدينة المذكورة عام (١٥٢٤ م) وامر بتعمير المرقدين والصحن وهو في الحاية عشرة من عمره . وسرعان ما عادت الاضطرابات عندما تسنم الحكم العثماني السلطان سليمان القانوني [٣] بعد وفاة والده عام (١٥٢٠ م) ، قرر ان يضع حداً لتلك الاضطرابات ، فجهز حملة عسكرية سميت ((عراقيين سفري)) [٤] . نتج عنها اخضاع القسم المتبقي من العراق ومنها مدينة بغداد في كانون الاول عام (١٥٣٤ م) عن طريق خانقين ، ودخلها بعد ان كانت تحت الحكم الصفوي ، وقام اشراف المدينة بتسليم مفاتيح المدينة اليه [٥]. فاتخذ السلطان بعض الاجراءات الادارية منها اجراء مسح عام للاراضي في سكان العراق وممتلكاتهم ، كما جعل بغداد مركزاً لولاية عثمانية تكون بقية المدن تابعة لها . لذلك اصبحت مدينة سامراء تابعة لها ادارياً [٦] .

وعلى الرغم من القوة العسكرية التي تم فيها اخضاع مدينة بغداد الا ان مدينة سامراء لم تتعرض للاحداث التي تعرضت لها الاولى كون الثانية اقرب الى المنطقة الشمالية ، اما مدينة بغداد [٧] فأنها تتوسط مدن العراق ، مما جعلها ذات حجم سكاني كبير لذلك اصبحت مركزاً لتلك الولايات .

بقيت مدينة سامراء على مفترق الطرق بين شمال العراق وجنوبه ، فكانت فاصلاً حيوياً ضمن دائرة الصراع العثماني الفارسي ولا سيما في القرن الثامن عشر وبخاصة في عهد والي بغداد احمد باشا [٨] ، اذ تعرض الاخير الى التهديد الفارسي من خلال وصول مضمون رسالة القائد نادر قلي [٩] ، الذي هيأ جيشاً من اجل احتلال مدينة بغداد متوغلاً في الاراضي العراقية ولم يتجه بصورة مباشرة الى المدينة اذ قصد مدينة كركوك املاً في خديعة الوالي احمد باشا من اجل ملاقاته خارج اسوار بغداد بصورة مفاجئة [١٠] الا ان الاخير علم بخبر قدومه وزاد من تحصين الاسوار وهيأ الاستعدادات الكاملة وملأ المخازن بالحبوب وارسل الى الباب العالي خبراً منذراً بالخطر القادم [١١] وعندما وصل نادر قلي بجيشه الى مدينة بغداد في كانون الثاني عام (١٧٣٣ م) ، فرض حصاراً على الجانب الشرقي من المدينة ، وعسكر بقواته بالقرب من منطقة الاعظمية ، واراد العبور الى الجانب الايمن لنهر دجلة من اجل تطويق مدينة بغداد [١٢] .

قام نادر قلي بانشاء جسر [١٣] في محاولة للوصول الى الجانب الاخر لمدينة بغداد ، اذ زحف من خلاله لاحتلال راس الجسر من جانب الكرخ ، ومن اجل تامين الطرق للقوات الفارسية وعدم وصول الامدادات العثمانية ارسل قسم من قواته لاحتلال مدينة سامراء ، ومدن الحلة ، كربلاء ، النجف ، الحسكة، والرماحية [١٤] ، بينما ارسلت الدولة العثمانية قوة بقيادة طوبال عثمان باشا[١٥] متجهة الى بغداد عن طريق مدينة سامراء ، وعندما وصلت تلك القوات الى كركوك ارسل القائد العثماني رسالة الى الوالي احمد باشا اخبره فيها بانه قادم لنجدته ، فكان لها بالغ الاثر في رفع معنويات المدن العراقية بما فيها مدينة سامراء [١٦] .

وصلت الانباء الى نادر قلي بتوجه القوات العثمانية فبعث برسالة الى القائد طوبال عثمان باشا تضمنت التهديد بالقاء القبض على الاخير من دون صعاب [١٧] . وعندما اقترب طوبال عثمان باشا من مدينة سامراء استلم رسالة اخرى موجهة اليه من نادر قلي تضمنت : ان قواته جاهزة لملاقاته في اي مكان يختاره [١٨] .

تتبع طوبال عثمان باشا عن كثب تحركات جيش نادر قلي عن طريق المعلومات التي ترده من الوكلاء التابعين له ومفادها بان نادر قلي قد زحف نحو غرب بغداد على رأس قوة كبيرة ، بعد ان ترك حول بغداد من قواته لادامة الحصار عليها [١٩] فيما تمركزت قوات طوبال عثمان باشا على ضفاف نهر دجلة بالقرب من مدينة سامراء منتظرة وصول قوات نادر قلي الفارسية[٢٠] . اذ لم يأتي اختيار مدينة سامراء الواقعة على ضفة نهر دجلة عبثاً من قبل طوبال عثمان باشا انما اراد ان يامن اتجاه الشاطئ من جهة وان يحاصر القوات الفارسية بأتجاه الصحراء من جهة ثانية .

التقى الجانبان في معركة عنيفة صباح يوم التاسع عشر من تموز عام (١٧٣٣م) عند مدينة سامراء ، وعنها احرز نادر قلي انتصاراً في بداية المعركة على الجيش العثماني ، لكن طوبال عثمان باشا استعاد نشاطه العسكري من خلال استعماله كل القوى العثمانية المتواجدة في مدينة سامراء وتمكن من صد القوات الفارسية التي يقودها نادر قلي ، وقد افادت اجواء المعركة الجيش العثماني بسبب سيطرته على ضفاف نهر دجلة بينما حاربت القوات الفارسية وهي في حالة عطش وفي ظروف جوية صعبة ليس لهم سوى غبار الصحراء [٢١] ، واستمرت المعركة في مدينة سامراء تسع ساعات متواصلة انتصر فيها طوبال عثمان باشا بعد ان جرح نادر قلي تاركاً اشلاء قتلاه في ساحة المعركة [٢٢] . وبذلك اكسب موقع مدينة سامراء اهمية كبيرة بالنسبة لمدينة بغداد ليس في التاريخ العثماني وحسب بل على مر العصور .

وفي عهد الوالي داود باشا تعرض الراق الى وباء (الكوليرا) سريع الانتشار الذي جاء عن طريق الهند ، في الوقت نفسه قامت القوات الفارسية بغزو العراق وتحديدا في العام ١٨٢١ م ، وكادت ان تصل تلك القوات الى مدينة سامراء بعد ان تعرضت قرى الدجيل والمناطق المحيطة بها الى محاولات متكررة من اجل غزوها ، لولا الوباء الذي انتشر بين صفوف القوات الفارسية ، فكان الوباء (الرحمة) بعينها للعراقيين بعامة . مما اضطرت القوات الفارسية الى الانسحاب من العراق والعودة الى ايران ، وعقد على اثر ذلك الانسحاب مؤتمر ارضروم عام ١٨٢٢م ، اذ تم الاتفاق بموجبه على تسوية القضايا التي كانت تثير العداء بينهما ، ومنها معاملة الزوار الذين يقصدون العتبات المقدسة ومنها سامراء [٢٣].

الحياة الاقتصادية لمدينة سامراء حتى عام ١٨٧٦م

كانت مدينة سامراء مكشوفة للقادمين ومفتوحة للزائرين بحيث لا يوجد حاجز بين بيوتاتها والاراضي المجاورة لها ، اذ شيدت بسور عام (١٨٣٤ م) وفي داخل السور البيوتات وفي جوارها مرقدي الامامين ، كما يوجد في المدينة جامع سمي بجامع (حسن باشا)[٢٤] وبقربه حمام وخان لايواء الزائرين ، وقد شيد هذا السور على حساب شيعة الهنود المتنفذين لما كابدته المدينة من طلبات وهجمات البدو الذين يخيمون في خارجها ويهددون بغزوها اذا لم تنفذ مطاليبهم ، فاصبحت امنة بفضل هذا السور الذي يبلغ طول ارتفاعه تسع عشرة قدم ، وقد عمل من اهالي المدينة كعمال في بناءه [٢٥] . لذا يعد هذا السور مكسبا ماديا للاهالي، كما ان له الفضل في استقرار المدينة وامنها مما ادى الى ازدهارها.

يحيط السور بالمدينة بمواجهة النهر وله فتحات عليا وثلاث ابواب ، ويمكن وصف المدينة في القرن التاسع عشر في ظل هذا السور بان فيها سوقاً صغير يتكون من بضعة دكاكين يباع فيها التبغ والرز والتمور والتفاح والخضر وغيرها ، كما يتم البيع على الاهالي فضلا عن الزوار والسياح الذين يزورون مرقدي الامامين [٢٦] . فتدر ارباحاً متنوعة للمدينة .

وشملت مدينة سامراء كبقية المدن التابعة لولايات العراق بالقانون العثماني [٢٧] في توزيع الاراضي واستثمارها في اواخر القرن التاسع عشر ، اذ تم تطبيقه منذ عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ . ١٨٧٧ م) [٢٨] ، وذلك بتقسيم اراضي الدولة وبيعها قطعاً صغيرة او كبيرة باسعـار زهيدة او بتقسيط سهل الى شـيوخ العشائروالبارزين من الاهالي والوجهاء الذين يقيمون في مناطقهم . وبموجب هذا القانون لهم الحق في التصرف بها كلياً ، على ان هذه الطبقات تستطيع، من وجهة النظر العثمانية ، استثمار الارض مما يؤدي الى زيادة في الانتاج الزراعي [٢٩] ، وتهدئة العشائر التي كررت ثوراتها في بغداد والمدن التابعة لها ومنها سامراء ، ولاسيما بعد مضي اربعة اشهر من تسنم مدحت باشا ولاية بغداد ، فهبت العشائر بسبب فرضه قانون التجنيد الاجباري على سكان بغداد ، مما اغاض الاهالي في كل انحاء العراق [٣٠] فكان نظام الاراضي من اجل التهدئة والسيطرة على الاهالي ، وبالتالي الى زيادة الضرائب وفعالية الاقطاع في المجتمع العراقي .

وعمل اهالي مدينة سامراء في تجارة الرقي والبطيخ اللذان اشتهرتا بهما المدينة وهما مصدر التجار الرئيسي، اذ تم نقله الى بغداد بادواب النقل القديمة التي تسمى ((الطبكة))[٣١]، وقد سارت باتجاه مجرى نهر دجلة حتى وصلت بغداد ، وعند تفريغ الحمولة فأن اصحابها يقومون بسحبها الى مدينة سامراء حيث يتعاونون عليها اصحابها وعادة يكونوا ثلاثة اشخاص في القيادة ، وتستغرق هذه الرحلة من مدينة بغداد الى مدينة سامراء من يومين الى ثلاثة ايام حسب قوة ونشاط الذين يقومون بسحبها ، كما انها تسحب بالحبال التي يشدها اصحابها في موضع خاص على صدورهم وظهورهم بعد ان يلبسون درع لكي تشد به الحبال وفي الوقت نفسه يقي اجسادهم من الاذى ، فكانت تجارة مربحة . اما تجارة المواشي فان اهالي المدينة تاجروا بالمواشي ولا سيما الاغنام ، اذ يربونها في ضواحي المدينة ويبيعون منها الى المدن ، وكان اصحابها يذهبون بها مشياً على الاقدام الى مدينة بغداد ثم يعودون الى مدينة سامراء بعد بيع تلك المواشي، وتوجد خانات لمبيت المواشي واصحابها ، اما العربات فانها غير مجدية بعد عبور النهر بسبب الترع والقناطر الفرعية من النهر التي تعيق سحب العربات [٣٢] .

لم يكن شيء يذكر في تنظيم اداري ليس في مدينة سامراء وحسب بل في العراق باكمله قبل مجيء الوالي مدحت باشا ، وعندما اصبح والياً على بغداد وضع تنظيمات ادارية سارت عليها مدن العراق حتى يومنا هذا [٣٣] ففي عام (١٨٦٩ م) اصدر الوالي مدحت باشا بهذا الصدد امر بجعل سامراء قضاءاً تابعاً للواء بغداد ، وتم تعيين اول قائمقام ويدعى علي بك ، وفي هذا القضاء حسب ما جاء ذكره في السالنامات العثمانية توجد خمس قرى تابعة لمدينة سامراء وهي : تكريت ، الدجيل ، الدور ، بلد وسميكة [٣٤] كما يلاحظ في عهد الوالي مدحت باشا عام ١٨٧٠ م ان الشاه ناصر الدين قصد مدينة سامراء من اجل زيارة مرقدي الامامين ومن دفن حولهما ، وبعد أمرٍ سلطاني بذل مدحت ((

اقصى ما في وسعه للاحتفاء بالشاه وضيافته)) فقد وصل الشاه اولاً الى بغداد في الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٧٠ م، قاصداً زيارة المراقد في كل من سامراء ، كربلاء ، الكاظمية و النجف ، وبرفقته مدحت باشا فضلاً عن حاشية كبيرة تجاوز عدد افرادها العشرة الاف الى جانب ((اكثر من خمسة عشرة الف دابة)) ، في ظل الاوضاع التي مر بها العراق من سنة قحط شديدة وغلاء معاشي ، واستمرت زيارته ثلاثة اشهر انتعش فيها الاهالي في المدن التي قصدها الشاه ومنها مدينة سامراء [٣٥] . لذلك كانت زيارة الشاه ذات مردود مادي على مدينة سامراء والمدن المقدسة الاخرى .

مدينة سامراء في تنظيمات السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ م

عندما تسنم السلطان عبد الحمد الثاني الحكم عام (١٨٧٦ م)[٣٦] استمر العمل بالنظام الاداري نفسه وفي وصف لمدينة سامراء اواخر القرن التاسع عشر انها كانت محاطة بالسور نفسه ، كما انها تتالف من (١٠٠٠) دار و(٢٠) دكان وحمامين [٣٧] ، كما يذكر ان السلطان عبد الحميد الثاني قد ميز الولايات العربية ومنها بغداد وتابعتها مدينة سامراء في الشؤون الداخلية ، فاسند الى مرؤسيهم بعض الوظائف في الجيش والمناصب الادارية في الدولة والمعاهد العلمية ولا سيما الدينية التي سيتم تفصيلها في صفحة لاحقة . ومن جانب اخر نجد السلطان يوزع المرتبات على زعماء الولايات العربية ، اذ كانت تصل اليهم تلك المرتبات وهم في بيوتهم حيث كانوا ، لذلك لا نرى الثورات في البلاد العربية خلال مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني على عكس ما حدث في الولايات البلقانية [٣٨] . ويقف وراء هذه السياسة ضد الدولة العثمانية الدول الكبرى التي ادعت انها راعية للمسيحيين في الولايات التابعة للدولة [٣٩]، ونتيجة لاختراقها بهذه الاساليب وتاجيج الاوضاع لذلك فان الدولة العثمانية صرفت الملايين من اجل القضاء على هذه المؤامرات وكان الاجدر ان تصرف هذه المبالغ على مشاريع حيوية [٤٠] . فلم تشكل مدينة سامراء والمدن العراقية الاخرى نقمة على مصالح الدولة العثمانية .

ونشطت حركة التجارة الخارجية لمدينة سامراء منذ عام (١٨٧٨ م) عندما نصبت الدولة العثمانية اول جسر لها في المدينة على نهر دجلة ، وهو جســرها الوحيد الذي يربط المدينة بين الضفتين ويتكون هذا الجسر من الدوب ، ويقع جنوب مدينة سامراء الحالية قرب وادي الموح امام منطقة القلعة الواقعة في الضفة الغربية من نهر دجلة [٤١] .

اما ادارة الدولة العثمانية في جمع الضرائب اتجاه مدينة سامراء فانها تختلف عن بعض المدن التي كانت تابعة للدولة ، اذ اخذت من العشائر رسوماً ثقيلة [٤٢] بعد ان كانت لكل عشيرة موقع خاص للزراعة في المدينة [٤٣] لذلك ادت هذه السياسة لبعض شيوخ العشائر الى الاندماج [٤٤] مع العشائر الرحل من اجل تربية الاغنام لغرض الهروب من تلك الضرائب او المواجهة في حالات نادرة مع السلطات العثمانية عندما يكون هناك تعداد للاغنام من قبل المسؤول المالي في مدينة سامراء لاخذ الرسوم المقررة عليها ، والغريب في الامر، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ان ان المسؤول العثماني في احد الايام قد طالب رسوماً من عشيرة البو عباس احدى العشائر الكبيرة في مدينة سامراء من غير ان تكون لديهم مواش ، ومما زاد في الطين بلة انهم تعرضوا للاستفزاز والاهانة فثاروا عليه وقتلوه مع جنديين من القوة العثمانية المسلحة المصاحبة له ، وقد تظافرت جهود اهالي المدينة ومعارفهم في عدم الامساك بالعباسي على الرغم من

اصطدم الحكم العثماني بالقاء القبض عليه ومحاكمته ، فكانت هذه السياسة سبباً في ارباك الواقع الزراعي للمدينة [٤٥] . لذلك تركت بعض الاراضي واصبحت خربة ومن تلك الضرائب على سبيل المثال التي كانت تاخذها الدولة العثمانية (٣٠) مجيدياً على كل كرد [٤٦] . اما المزروعات الشتوية (الديم) فتاخذ منها ضريبة الخمس ، كما تاخذ عن كل رأس غنم (٤) قروش ، وعن كل رأس ابل (فرنكاً) واحداً ، وتاخذ رسماً ضريبياً يسمى (البيتية) وهي ثلاثة عشر قرشاً عن كل رجل متأهل [٤٧] وعلى الرغم من تعسف الضرائب العثمانية فان المدينة في تلك الحقبة قد تعرضت الى هجوم مجموعة من الاكراد من قطاعي لطرق محاولين القيام بالسلب والنهب عام (١٨٧٩ م)، الا انهم صدوا من قبل اهالي المدينة وكان للسور دوراً في ذلك [٤٨] .

اما الدولة العثمانية فانها لم تكتفِ ابان عهد السلطان عبد الحميد الثاني بتلك الضرائب المقررة ، بسبب الافلاس الناجم عن مبالغ الديون الكبيرة والمتراكمة التي كانت تقترضها الدولة في عهد السلطان عبدالعزيز [٤٩] .

ومما يلاحظ في عام (١٨٨١ م) ان الدولة العثمانية انشأت اول شركة نهرية في عهد الوالي العثماني رفعت باشا تنقل القاصدين الى مدينة سامراء سواء لزيارة مرقدي الامامين ام للسياحة بواسطة مركب كبير ، كما رغب السلطان عبد الحميد الثاني في ربط الولايات العربية الخاضعة لسلطته ولا سيما ولايات العراق عن طريق انشاء سكة حديد بغداد . برلين واعتبار مدينة سامراء جزءاً من هذا الامتياز الذي حصل عليه الالمان من الدولة العثمانية كونها تتوسط طريق الموصل . بغداد، من اجل تسهيل عملية النقل بدلاً من النقل بواسطة الاكلاك المعروفة فيما بين النهرين منذ القدم، والتي تشاهد في مدينة سامراء قادمة من الموصل على وجه الماء وهي محملة بانواع السلع [٥٠] .

ومن جانب اخر فان لمدينة سامراء قدسية في نفوس الارادة السلطانية ايام السلطان عبد الحميد الثاني اذ اهتمت والدته بهذا الشأن فاهدت لمرقدي الامامين صفحات من الذهب واثنتين من الشمعدانات وهي باهظة الثمن[٥١] . كما ان السلطان نفسه لم يكن يهتم بالاماكن التي تذكره باليوم الاخر وحسب ، بل اهتم كذلك بسلامة طريق الزوار ولا سيما الايرانيين ومغادرتهم من تلك الاماكن المقدسة [٥٢] . فضلاً عن ذلك فان اهتمامه بالعلم والعلماء اخذ حيزاً في ذلك ولا سيما في مدينة سامراء .

الحياة الثقافية في مدينة سامراء حتى عام ١٩١٧ م

لم تكن مسألة الاهتمام بالتعليم في العهد العثماني امراً جديداً ولا سيما التعليم الديني اذ اعتاد الاهالي على التعلم من خلال الجوامع والطرق البدائية (الملاية) . وزداد الاهتمام بتعليم العرب في عهد السلطان عبد الحميد الثاني اذ انشأت في اسطنبول مدرسة للعرب من اجل تعليم واعداد العشائر العربية في مركز الدولة العثمانية باعتبارها مقر الخلافة ، ولكل من ولايات حلب، سوريا ، بغداد ، البصرة ، الموصل ، ديار بكر ، طرابلس الغرب ، اليمن ، الحجاز ، بنغازي ، القدس و دير الزور . كما ان الدولة تكفلت في مدرسة العشائر العربية بكل مصاريف الطلبة فضلاً عن النفقات الاخرى من سفر واخرى [٥٣] . علماً ان التعليم في المدرسة الدينية يتم تعطيلها خلال شهر رمضان بما في ذلك المدارس والمعاهد التي انشأتها الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني [٥٤].

اما وزارة المعارف فانها كانت معنية بوضع المناهج التعليمية والنظم التفصيلية للامتحانات ، كما انها مسؤولة عن تعيين مديري المدارس واعضاء هيئة التعليم وتهيئة الميزانية للتعليم ، الا ان مدينة سامراء لم تكن ضمن صلاحيات مديريات المعارف بالرغم من كونها تابعة لولاية بغداد ، وهذه ونظيرتها من الولايات العراقية (ذات العطف السلطاني) لها نظام تعليمي خاص يكمن في ضوء الحاجات الخاصة للمدن . ولذلك فان التدريس في مدينة سامراء التي كانت فيها مدرستان الاولى : مدرسة ابتدائية منذ العام (١٨٨١ م) واول معلم فيها هو ابراهيم افندي، والثانية : رشدية فتحت عام (١٨٨٢م) واول معلم فيها هوعلي افندي كما توجد في سامراء بعض الكتاتيب ، والتدريس باللغة العربية دون العثمانية ، كما ان اساتذتها من ولاية بغداد وليس من العثمانيين الذين لا يحسنون التدريس بالعربية [٥٥] . وتختلف حالة التعليم في بغداد عن سامراء ، اذ كان التدريس في بغداد باللغة العثمانية وباوامر جبرية ، فضلا عن تعدد مشاريع فتح المدارس فيها طبقاً للكثافة السكانية والاهمية الجغرافية [٥٦] .

وعندما اخذت بعض الافكار طريقها ، ولا سيما سيل الافكار الفارسية ، في المد باتجاه مدينة سامراء عمل علماء بلاد فارس في الاخذ من مشاهد اهل البيت فرصة من اجل تعميم افكارهم اليها ، والتغلغل من اجل ميل العرب نحوهم ، اذ كانت حكوماتهم تبذل الاموال بهذه الطرق في سبيل تحقيق هذه الاماني . لذلك نقل الميرزا محمد حسن الشيرازي [٥٧] مركز اجتهاده من بلاد فارس الى مدينة سامراء في مدة حكم الوالي حسن باشا ، فقام الشيخ محمد سعيد النقشبندي عن طريق تلميذه توفيق باشا باطلاع الوالي حسن باشا باستقرار الميرزا في سامراء وبنائه مدرسة دينية يكون منهاجها على المذهب الجعفري ، ورجا النقشبندي ان تكون لاهله مدرسة دينية مثلها ، فكتب الوالي حسن باشا في الحال بعد قناعته الى اسطنبول مركز السلطان يحيطه علماً بهذا الموضوع ، وبعد ذلك رد السلطان الى الوالي بان يحضر العلامة النقشبندي الى اسطنبول ، فلما وصل الى هناك حظي بتقدير السلطان واكرامه ، واصدر من اجل ذلك ارادة سلطانية بانشاء مدرسة علمية دينية في مدينة سامراء ، فرجع الى العراق ووصل المدينة المذكورة عام (١٣٠٩ هـ) ونزل ضيفاً على السيد حسن بن السيد علي الكليدار ، وبعد انشاء المدرسة في عام (١٨٩٦ م) بموجب الارادة السلطانية الخاصة ببناء المدرسة الدينية ، فكان عمال البناء من اهالي المدينة، كما خصص للشيخ النقشبندي راتباً شهرياً قدره(١٥٠٠) قرش [٥٨] ، كما حصل على مبلغ اخر يكون مرتباً شهرياً يوزع على طلبته من خلال ادارته ، وبعد انشاء المدرسة سجل فيها قرابة (١٠٠) طالب ، وكان اكثر الطلبة قد اختيروا من اولاد وجهاء سامراء [٥٩] فراجت المدرسة بالطلبة والعلماء واصبحت مناراً للعلم وهي شاخصة حتى يومنا هذا .

وبشأن بناية المدرسة فانها وصفت ولا زالت مستطيلة الشكل ، يبلغ طولها حوالي (٤٠) متر وذات عرض يقدر بحوالي (٢٤) متر ، والمدرسة تتكون من طابقين الاول : وفيه (٢٢) غرفة و خزان ماء وحمام ومسجد خاص للطلبة امامه شرفة (طرمة) وبجوار المسجد سرداب . اما الطابق الثاني : فهو اقل من الطابق الاول بغرفتين وباب المدرسة يقع في الجانب الغربي ، وفي وسط المدرسة حديقة ، وكتب على باب المدرسة بعضاً من الابيات الشعرية بالكاشي الازرق والاصفر بخط السيد عبد الرزاق حميد السامرائي وهي كالاتي [٦٠] :

لقد اشرقت بالعلم مدرسة الهدى فلاحت شموس واستهل سعود
وقد جاورت ابناء بنت نبينا فبلقرب رب من ال النبي تسود
بأمر امير المؤمنين امامنا خليفة خير الخلق وهو (حميد)
فأما مفيد العلم فيها فأرخوا فيما واما خطها فســـعيد

ومن اللافت للنظر ان عدد المتعلمين في مدينة سامراء ليس ضئيل جداً بل يكاد لا يقاس بالنسبة المئوية من المتعلمين في العراق ، الذي بلغ العدد الكلي بعامة منذ العام ١٩٠٠ م الى ١ % من مجموع السكان [٦١] ، وبهذا فأن الوعي الثقافي والنظرة الثاقبة لسنوات المستقبل ، في ظل عدم الاكتراث العثماني بالتعليم العام للاختصاصات المتنوعة ، قد دفعت بالاستاذ محمد سعيد النقشبندي الى التفكير بهذه المدرسة [٦٢] التي تخرج العلماء والاساتذة ولا تزال هكذا حتى يومنا هذا .

تخرج من المدرسة العديد من الطلبة الذين اصبحوا علماء في الدين وانتشروا في انحاء مدن العراق ، يدرسون ويعملون في مجال اختصاصهم الا ان المدرسة اصابها بعض الضعف والركود عندما اخذت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، اذ افادت الدولة العثمانية من الطلبة الدارسين في المدرسة الدينية بالمجال العسكري وتم استعمالهم كضباط احتياط [٦٣] لذلك فان للحرب العالمية الاولى نتائج مظلمة على المدن العراقية ومنها مدينة سامراء .

كان للطابع الديني والالتزام بمبادئ الشريعة الاسلامية هو السائد في ثقافة المجالس العشائرية ذات الطابع الاخلاقي من اجل حل المنازعات والمشاكل التي تحدث في المدينة وهي بحاجة الى دراسة مستقلة .

الاوضاع في مدينة سامراء حتى عام ١٩١٧ م

تباينت مواقف اهالي سامراء بشأن قضية خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام (١٩٠٩)، اذ كانت التعابير غير موحدة لدى المسؤولين ، مع ذلك فان المدينة امنة ومستقرة ، ومفضلة في الاقامة من قبل المسافرين والاجانب على بعض المدن ، اذ رغب العاملون في سكة حديد بغداد . برلين في الاقامة في مدينة سامراء بدلاً من بغداد مما يدل على اهمية مدينة سامراء في توفير سبل العيش والراحة للمسافرين ، فضلا عن طيب اهالها ورائحة هوائها [٦٤]. ويمكن وصف مدينة سامراء خلال عامي (١٩١١ ، ١٩١٢ م) بانها مدينة لطيفة ونظيفة وذات جمال ورائحة طيبة [٦٥] فهي موضع اهتمام الدولة العثمانية كمحطة انطلاق من اجل ايصال بضائع البصرة المتراكمة الى شمال العراق ، بواسطة مقطورتين نهريتين في مدينة سامراء وتابعتها قرية تكريت ، فضلا عن ان سامراء اعدت في الاصل لنقل المواد السكة الحديدية من بغداد الى سامراء [٦٦] . اذ باشر الالمان في بناء ذلك الجزء من مشروع سكة حديد بغداد [٦٧] الذي يربط الاخيرة بسامراء بموجب الاتفاق العثماني . الالماني ، ووضع حجر الاساس للمشروع في السابع والعشرين من تموز ١٩١٢ م وقد حضره المسؤولون العثمانيون ومن العراقيين نقيب اشراف بغداد عبد الرحمن النقيب [٦٨] الذي عرف بميوله للعثمانيين وولي نقابة الاشراف بعد وفاة شقيقه السيد سلمان افندي النقيب [٦٩]

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام (١٩١٤ م) كان القتال مستمراً بين العثمانيين والبريطانيين في ميادين القتال كافة ، وفي هذه الاثناء استعملت مدرسة الشيرازي في مدينة سامراء كمشفى لمعالجة جرحى الجيش العثماني [٧٠]

. وعلى الرغم من ان المدينة محاطة بسور الا انه لم يعد نافذ المفعول في حمايتها من الاعتداءات الخارية ، اذ لم يعد ذو فائدة ليس في سامراء وحسب بل في جميع مدن العراق من اجل استتباب النظام الذي حافظ عليه العثمانيون ولا سيما في الولايات العراقية والمناطق التابعة لها ، كما ان تطور المدفعية البريطانية جعل السور غير مجد في الدفاع ، فلا غرو ان يجتاح الجيش البريطاني المتطور في جمع الاعداد الكبيرة من الهنود المرتزقة عن طريق الاخضاع ،كما كان لنوع الاسلحة الاثر البالغ في دخول المدن العراقية واحدة تلو الاخرى [٧١] ، حتى وصوله مدينة بغداد باتجاه الموصل عبر مدينة سامراء ، بينما كانت المراسلات بين القادة العثمانيين متواصلة ولا سيما برقيات وزير الحربية انور باشا الى القائد خليل باشا متضمنة وجوب الثبات امام القوات البريطانية ، وكانت مدينة سامراء القاعدة العسكرية التي اتخذها العثمانيون خلال الحرب قبل الاجتياح البريطاني لمدينة بغداد باعتبارها الطريق المؤدي الى شمال العراق عبر مدينة سامراء ، فضلا عن قطارها المنشأ حديثاً ضمن حركة المواصلات بين الموصل وبغداد، واخيراَ قرر العثمانيون الانسحاب من الاخيرة باتجاه مدينة سامراء عام (١٩١٧ م)[٧٢].

انقطعت الامدادات العسكرية وغيرها من بغداد بعد احتلالها من قبل القوات البريطانية ، بينما عانت مدينة سامراء من ضيق العيش مدة شهرين من عام (١٩١٧ م) ، وفي ظل الحرب التي شتدت اوزارها وعلى بعد (١٥) كيلو متر الى الجنوب الغربي من سامراء وحصراً في موقع اصطبلات وقعت في يومي (٢١ . ٢٢) من نيسان من العام المذكور معركة عنيفة وحاسمة بين القوات البريطانية والعثمانية ، خسرت فيها قوات الاخيرة تلك المعركة والمواقع التي تحصنوا فيها ، اذ بلغت خسائر القوات المشتركة (٢٠٠٠) قتيل[٧٣] ، وكان للمدفعية البريطانية دوراً كبيرا في انتصارهم وسيطرتهم على ضفاف نهر دجلة مما ادى الى انسحاب العثمانيين ، الامر الذي مكن البريطانيون من السيطرة على محطة القطار التابعة لمدينة سامراء والواقعة في منطقة القلعة حالياً [٦٤]، ولم تفصل القوات البريطانية عن مركز مدينة سامراء سوى جسرها الوحيد ، وظلت المدينة مدة يومين ((من دون اي سلطة حكومية قبل ان يدخلها البريطانيون في ٢٤ نسيان عام ١٩١٧)) علماً ان العثمانيين قد حرقوا المخازن والمواد الغذائية خلال عملية الانسحاب فلم ينتفع اهالي مدينة سامراء من تلك المخازن بشيء يذكر ، فعانت المدينة الويلات من تلك الحرب [٧٥].

ومن اللافت للنظر ان القوات البريطانية عند دخولها محتلة مدينة سامراء ، لم تتباين في الافعال اتجاه الاهالي عن بقية المدن العراقية ، فقد اساءت اليهم واهانتهم وانتهكت حرمة البيوت بذرائع عدة منها على سبيل المثال التفتيش عن الاسلحة والضباط العثمانيين ، والشيء الوحيد الذي حافظت علية القوات البريطانية المحتلة هو الابقاء ((على معظم التقسيمات الادارية العثمانية في منطقة سامراء)) ، وكل ما من شأنه خدمة المصالح البريطانية فضلا عن سيطرتها على مقدرات المدينة[٧٦] . ويمكن القول ان فترة عامي (١٩١٧ . ١٩١٨ م) كانت الحسم بخاصة لمدينة سامراء وللعراق بعامة اذ تمخضت عن محاولات عثمانية عدة من اجل صد البريطانيين وايقاف سير قواتهم بالاشتراك مع بعض القادة العرب الذين تباينوا في مواقفهم . وبهذا فان المدينة دخلت في مرحلة الاحتلال بدلا من السيطرة وكلاهما وجهان لعملة واحدة الا في حالات قل نظيرها ومنها العقيدة .

الخاتمة

تم التوصل الى النتائج الاتية :

. خضعت مدينة سامراء الى السيطرة العثمانية كباقي مدن العراق ، اذ لاقت الاهتمام في التنظيم العشائري في المناطق التابعة للمدينة ، من اجل ضمان الحصول على الضرائب المفروضة على هذه العشائر بحسب النسب المقررة .

. حصلت المدينة على عطف سلطاني من قبل السلطان عبد الحميد الثاني الامر الذي لعب دوراً كبيراً في تنمية المدينة اقتصادياً وعلمياً وحضارياً .

. عانت المدينة من الضرائب المفروضة من الدولة العثمانية ، فكان لسياستها عبئاً اثقل كاهل المواطن والتاجر على حد سواء، كما يعاب على سياستها هذه انها شجعت ظاهرة الاقطاع، في اعطائها بعض الصلاحيات للمسؤولين من ولاة وغيرهم التي من شانها السيطرة على الارض وضياع حقوق اهالي المدينة.

. وبشأن التنظيمات الادارية لا تزال مدينة سامراء قضاءً حتى يومنا هذا على الرغم من السعة السكانية التي تمتاز بها ، علماً ان القرى التي كانت تابعة لها (تكريت ، الدجيل ، الدور ، بلد وسميكة) قد طورت واصبحت اقضية تابعةً لمحافظة صلاح الدين .

. ومن اجل تعريف الاجيال والمجتمعات العربية بالشواخص الحضارية واهميتها ، يمكن المحافظة على هذه المدينة والاعتناء بها من خلال تنظيم الزيارات الطلابية اليها ، في دليل سياحي للعاصمة العباسية ، كذلك يمكن مناشدة المسؤولين بضرورة اعادة تسييج كل المظاهر الحضارية للمدينة ، ومعاقبة العابثين والمسيئين لتراثنا الاسلامي والحضاري .

. مدينة سامراء الحالية بحاجة الى توسعات تجعل منها سهولة المواصلات سبيلاً لها من خلال المشاريع الحديثة التي تطورها وتجعل منها مدينة متمدنة ، على غرار مدن العالم المتطورة .

. وفي الختام فان ارثاً حضارياً لا يفاد منه العبر فحسب بل يدر رزقاً متنوعاً الى اهالي مدينة سامراء .

الهوامش والمصادر

(١) اسماعيل الصفوي : هو ابن الشيخ حيدر،اذ لقب نفسه سلطان الصفويين بعد مقتل ابيه في المعركة مع ملك شروان ، وبقي ست سنوات في رعاية وجهاء كيلان ، اذ اتجه بعدها الى اردبيل وكان في الثالثة عشرة من عمره في حماية اشخاص من الصفويين ، التف حوله الكثيرون فقدم الى مدينة باكو ثم اذربيجان ، ودخل مدينة تبريز ولبس تاج السلطنة وبايعته قبائل التركمان ، وكانت علاقاته مع الدولة العثمانية سيئة . دمر جيشه من قبل الجيش العثماني بقيادة سليم الاول في معركة جالديران عام ١٥١٤ م اما الشاه فقد فر الى همدان . للتفصيل يراجع : محمد وصفي ابو مغلي ، ايران ، دراسة عامة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٥ ، ص٢٤٥ . ٢٤٧ .

(٢) طهماسب الصفوي : هو ابن الشاه اسماعيل ، حكم بلاد فارس عام ١٥٢٤ م بعد وفاة ابيه ، وكان العوبة في ايدي امراء القزلباش، حاول اقامة حلف مع الاوربيين ضد العثمانيين ولم ينجح في ذلك ، اذ سيطر السلطان سليمان القانوني على بغداد عام ١٥٣٤ م واخضع مناطق العراق ، كما استولى على مدينة تبريز مما ادى بالشاه طهماسب الى نقل عاصمته الى قزوين ، وفي عهده عقد الصلح مع العثمانيين في معاهدة سميت بـ (اماسيا) عام ١٥٥٥ م ، توفي الشاه عام ١٥٧٦ م . المصدر نفسة ، ص٢٤٨ . ٢٤٩ .

(٣) سليمان القانوني : ولد في تشرين الثاني عام ١٤٩٤ م في مدينة طرابزون على ساحل البحر الاسود ، وعندها تولى والده الامير سليم مهام المقاطعة في عهد السلطان محمد الثاني ، تسلم سليمان قيادة الدولة العثمانية وهو في الخامسة والعشرين من عمره عام ١٥٢٠ م ، ومن ميزاته انه احب المجوهرات اكثر من اسلافه . للمزيد من التفاصيل عنه يراجع : اندري كلو ، غازي الغزاة سلمان القانوني ، تعريب محمد الرزقي ، دار التركي للنشر ، ١٩٩١ م .

(٤) وتعني الحملة على العراقيين .

(٥) خليل علي مراد ، رحلة أوليا جلبي مصدراً لدراسة احوال العراق في القرن السابع عشر ، مجلة المشكاة ، العدد (١) ، بغداد ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص٥١ .

(٦) فاضل بيات ، بغداد من خلال وثائق الارشيف العثماني ، تقديم : خالد ارن ، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية بأستانبول ، استانبول ، ٢٠٠٨ م ، ص١١ . ١٢ .

(٧) توسعت حدود بغداد فالحقت بها البصرة في عهد اهم ولاة بغداد (حسن باشا) ، كما تقلصت حدودها (بغداد) ففصلت عنها ولاية الموصل عام ١٨٧٨ م ، وولاية البصرة عام ١٨٨٤ م . المصدر نفسه ، ص١٥ .

(٨) احمد باشا : ولد بالقرب من استانبول في جفلكة عام ١٦٨٥ م ، وهو الابن الوحيد لحسن باشا والي بغداد ، كان احمد شاباً ذكياً وذو شخصية ثاقبة النظر ، ومحباً للعلم والادب والرياضة ، وبسبب اعماله اعجب به اهالي بغداد . علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ . ١٧٥٠ م . دراسة في احواله السياسية ، منشورات مكتبة ٣٠ تموز ، نينوى ، ١٩٨٥ م ، ص١١٢ . ١١٥ .

(٩) نادر قلي : ولد في اقليم خراسان عام ١٦٨٨ م ، وعاش راعياً كابيه ترعرع في العسكرية ، اسر من قبل قبائل الاوزبك الافغانية مدة ٤ سنوات وهو في سن الثامنة عشر ، ثم اصبح بسبب ذلك رجلاً صلباً له اتباع يعدون قطاعاً للطرقات ، وعن طريق المصاهرة مع حاكم ابيورد افل نجمه على مسرح الاحداث السياسية ، توفي عام ١٧٤٧ م على يد احد مناهضيه ومن اتباعه . عبد العزيز سليمان نوار ، الشعوب الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص٣٠٠ . ٣٠٢ .

(١٠)عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٥ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٣ م ، ص١٣٣ . ١٣٤ .

(١١)ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ١٩٦٨ م ، ص١٧٠ .

(١٢)رسول حاوي كركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء ، ترجمة : موسى كاظم نورس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت ، ص٢٩ . ٣٠ .

(١٣)استعان نادرقلي بمهندس اوربي كان يرافقه في الحملة فانشأ جسر عائم من النخيل على بعد عدة اميال من شمال بغداد ، عبرت قواته بواسطة هذا الجسر الى الجانب الايمن من نهر دجلة ، كما عبرت قوات اخرى عبر الزوارق ، وحاولت القوات العثمانية التصدي لهم بقيادة مصطفى باشا ، في معركة عنيفة نتج عنها انسحاب القوات العثمانية الى المدينة بعد ان تكبدت خسائر كبيرة . للتفصيل يراجع : علاء موسى كاظم نورس ، العراق في العهد العثماني . دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ . ١٨٠٠ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م ، ص١٥٧ .

(١٤)لم تكن القوات العثمانية في بغداد قادرة على القيام بهجوم خارج السور بسبب قلة العدة والعدد مقارنة بقوات نادرقلي الذي لجأ الى اساليب التأثير النفسية المؤثرة على معنويات المحاصرين ، وعلى سبيل المثال لاالحصر كان يرسل ارتالاً من جيشه بصورة خفية ليلاً الى اطراف بغداد ثم يعودون في وضح النهار وكأنها قوات عسكرية جاءت من اجل دعم القوات الفارسية ، مما يرعب اهالي بغداد . كامل باشا ، تاريخ سياسي دولت عثمانية ، ج٢ ، مطبعة احمد احسان ، استانبول ، ١٣٢٧ هـ ، ص١٤٥ ؛ حسين مؤنس ، الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص٣٤٨ .

(١٥)عثمان طوبال باشا : طوبال وتعني الاعرج ، من قادة جيش الدولة العثمانية ، ولد عام ١٦٩٢ في المورة ، تدرج بعد الدراسة حتى وصل عام ١٧٣١ م بمنصب الصدارة العظمى ، ثم واليا على تفليس ، وفي عام ١٧٧٣ م قاد الحملة العسكرية المكلف بها على

ولاية بغداد . يراجع بهذا الصدد : محمد ثريا ، سجل عثماني ، ج٣ ، تذكرة مشاهير عثمانية ، عامرة مطبعسي ، استانبول ، ١٣١١ هـ ، ص٤٢٥ . ٤٢٨ .

(١٦)ينظر : رسول حاوي كركوكي ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

(١٧)ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .

(١٨)رضا نور ، ترك تاريخي ورسملي خريطة لي ، ج٥ ، مطبعة عامرة ، استانبول ، ١٩٢٥ م ، ص١٣٧ .

(١٩)كامل باشا ، المصدر السابق ، ص١٤٥ .

(٢٠)عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ج٢ ، قربت مطبعسي ، استانبول ، ١٣١٨ هـ ، ص ١٣٥ . ١٣٧ .

(٢١)عمر راجح محمود حسين المحمدي ، الصراع العثماني الفارسي على ولاية بغداد (١٧٠٤ . ١٧٤٧ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية . جامعة الانبار ، الانبار ، ٢٠١١ م ، ص١١٢ .

(٢٢)على الرغم من ان طوبال عثمان باشا قد حرر بغداد وانقذ الوالي احمد باشا من يد نادر قلي ، الا انهما التقيا في معارك عدة كان اخرها هزيمة الجيش العثماني وسقوط طوبال عثمان صريعاً في ساحة المعركة جنوب شرق كركوك في الرابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٧٣٣ م . للتفصيل يراجع : المصدر نفسه ، ص١١٤ . ١١٥ .

(٢٣)علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، لندن ، ١٩٩١ ، ص٢٤٤ . ٢٤٨ .

(٢٤)حسن باشا : نسبتاً الى حسن باشا الذي ولد عام ١٦٥٧ م في قصبة قترين التابعة لمنطقة الروملي ، من ابوين عثمانيين ، كان والده سباهياً في جيش السلطان مراد الرابع ، تعلم حسن في مدارس السراي ، وظهرت شجاعته في الحملات العثمانية ، تدرج في الوظائف حتى وصل الى مرتبة الوزير عام ١٦٩٧ م ، كما تم تعيينه حاكماً على ولاية قونية ، وفي عام ١٦٩٨ م ولي حاكماً على ولاية حلب ، ثم نقل في عام ١٧٠٤ م ليكون والياً على بغداد بسبب الانفلات الامني فيها ، استمر حكمه على الاخيرة حتى عام ١٧٢٣ م ، وتميز عهده بالاصلاحات ، اذ تمكن من جعل ولايات العراق مستقرة ، فحظي بأحترام السلطان العثماني فضلاً عن حب الاهالي له . للمزيد من التفاصيل يراجع : عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، دار احياء الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص١١ . ٣٥ .

(٢٥)يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، مطبعة الامة ، بغداد ، ١٩٣٥ م ، ص٢٠٦ .

(٢٦)جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة . قسم سامراء ، ج١ ، دار التعارف ، بغداد ، د . ت ، ص٣٠٠ . ٣٠٣ .

(٢٧)اي الامتيازات التي منحها السلطان العثماني .

(٢٨)مدحت باشا (١٨٦٩ . ١٨٧٧ م) : من الولاة العثمانيين المتميزين في الادارة ، ومن دعاة الاصلاح والعمل بمقتضى الدستور ، اتهم عام ١٨٧٧ م في التخطيط وراء حادثة عزل السلطان عبد العزيز وتنصيب مراد كسلطان بدلاً عنه ويذكر انه وراء خلع السلطان الاخير واختيار اخيه السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦ م . توفي عام ١٨٨٤ م . للتفصيل عنه يراجع : ارنست رامزور ، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ م ، ترجمة : صالح احمد العلي ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص٩ . ١٢ .

(٢٩)ينظر : كاثلين ام . لا نكلي ، تصنيع العراق ، ترجمة : محمد حامد الطائي وخطاب صكار العاني ، مكتبة دار المتنبي ، بغداد ١٩٦٣ ، ص٣٩ . ٤١ .

(٣٠)ينظر : علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٢ ، ط٢ ، دار الرشيد ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص٢٥٣ . ٢٥٧ .

(٣١)الطبكة : وتتكون من الواح الخشب وبعض الحديد .

(٣٢)يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، ص٢٤١ . ٢٥٠ .

(٣٣)التقارير السنوية التي تصدرها الدولة العثمانية ، اذ صدرت بشأن العراق ثلاث سالنامات واحد منها في بغداد عام ١٨٧٤ م ، والثانية عام ١٨٩١ م والثالثة في الموصل عام ١٨٩٠ . نقلاً عن : جعفر الخليلي، المصدر السابق ، ص٢٩٨ . ٣٠٠ .

(٣٤)المصدر نفسه ، ص٣٠٠ .

(٣٥)علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٣٦)السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ . ١٩٠٩ م) : هو ابن عبد المجيد تسنم الحكم بعد ان خضع لشروط المنهاج الاصلاحي وفي مقدمته اعلان الدستور وهو في الثلاثينيات من عمره ، اتسم عهده بتكالب الدول الاوربية من اجل حل مشكلة اليهود على حساب الولايات التابعة للدولة العثمانية ، اذ كان له موقفاً مشرفاً اتجاه القضية العربية ، مما ادى الى اقصاءه عن الحكم عام ١٩٠٩ م . للتفصيل يراجع : اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته واحداث عهده ، دار الانبار ، بغداد ، ١٩٨٧ م ، ص٣٢ . ٩١ .

(٣٧)محمد مصطفى الهلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، الموصل ، ١٩٩٤ م ، ص١٧ .

(٣٨)يراجع : جعفر الخليلي ، المصدر السابق ، ص٢٩٨ . ٣٠٠ .

(٣٩)ينظر : محمد جميل بيهم ، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، المطبعة الوطنية ، ١٩٥٧ ، ص١٣١ .

(٤٠)هدى درويش ، العلاقات التركية . اليهودية واثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة ١٦٤٨ م الى نهاية القرن العشرين ، ج١ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢ ، ص٢٩٦

(٤١)ظل الجسر ماثلاً للعيان حتى فيضان عام ١٩٠٧ م الذي حطم الجسر تحطيماً تاماً ، وظل الناس يعبرون بين جانبي مدينة سامراء بالقفف وزوارق الخشب الكبيرة التي كانت تسمى باقايغ (زورق كبير) .

(٤٢)ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٣٦٨ .

(٤٣)للتفصيل عن موقع العشائر في سامراء يراجع : مجلة لغة العرب ، المجلد الثاني ، ج٦ ، السنة الثانية ، كانون الاول ١٩١٢ م ، ص٨٥ . ٢١٧ .

(٤٤)ونعني بها الشراكة .

(٤٥)خالد عبد العزيز القصاب ، مذكرات عبد العزيز القصاب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٦٠ .

(٤٦)الكرد : عبارة عن ثلاثة افدنه .

(٤٧)ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٣٦٧ . ٣٦٨ .

(٤٨)جريدة زوراء ، العدد ٨٢١ ، سنة ١٢٥٦ هـ .

(٤٩)السلطان عبد العزيز : تميز عهده بقلة الحروب الخارجية للدولة العثمانية ، الا ان الولايات البلقانية كانت تستعد من اجل الحصول على الاستقلال . وفي الشؤون الداخلية لم ينج السلطان من المؤامرات التي دبرها رجال القصر ومعظمهم من جماعة تركيا الفتاة مما ادى الى قتله . محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، ط٢ ، دار النفائس ، ٢٠٠٨ م ، ص٤١٠ ، ص٤١٩ .

(٥٠)وتعد هذه اول شركة فتحت لها دائرة في مدينة سامراء من اجل نقل الركاب بين بغداد وسامراء . يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٥٢ .

(٥١)يذكر ان هذه الصفحات الذهبية قد تعرضت للسرقة ابان العهد الملكي عام ١٩٣٦ م وهي للمرة الثانية في التاريخ . يراجع في هذا الصدد : يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، ص١٣٢ .

(٥٢)خالد عبد العزيز القصاب ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٥٣)علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، ط٣ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص٤٦٣ .

(٥٤)ينظر : دونالد كواترت ، الدولة العثمانية ١٧٠٠ . ١٩٢٢ م تعريب : ايمن الارمنازي ، الرياض ، ٢٠٠٤ ، ص٢٩٧ .

(٥٥)ينظر : جمال اسد مزعل ، نظام التعليم في العراق ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص٣٠ ؛ يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

(٥٦)عبد الرزاق الحسني ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ . ١٩٣٠ م ، ترجمة وتعليق : فؤاد قزانجي ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٦١ .

(٥٧)محمد حسن الشيرازي : هو الشيخ محمد الذي ولد في مدينة اصفهان عام ١٢٣٥ هـ ورجل دين ، سافر الى النجف عام ١٢٥١ هـ ، ودرس فيها ثم سافر الى سامراء عام ١٢٩١ هـ ، توفي فيها بمرض السل عام ١٣١٢ هـ . يراجع : يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، ص١٧٨ .

(٥٨) وتساوي (١٥) ليرة عثمانية ، والليرة الواحدة تساوي (٢٢) فرنكاً و (١٨) شلناً . يراجع : الكسندر اداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة : هاشم صالح التكريتي ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص٦٠٠ .

(٥٩)يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ علماء سامراء ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، ١٩٦٦ م ، ص٩ .

(٦٠)المصدر نفسه ، ص٩ .

(٦١)ينظر : هاشم جواد ، مقدمة في بيان العراق الاجتماعي ، منشورات جمعية الرابطة الثقافية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٦ م ، ص١٠٤ .

(٦٢)عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العهد العثماني ١٦٣٨ . ١٩١٧ م ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغدداد ، ١٩٥٩ م ، ص٥ . ١٧ .

(٦٣)مجلة لغة العرب ، المجلد الثاني ، ج١٢ ، السنة الثانية ، حزيران ١٩١٣ م ، ص٥٨٣

(٦٤)عبد الرزاق الحسني ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٣ ، صيدا ، ١٩٥٨ م ، ص١١١ .

(٦٥)يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج٢ ، ص١٧٥ .

(٦٦)عبد الرزاق الحسني ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ . ١٩٣٠ ، ص٩٦ .

(٦٧)للتفصيل عن هذا المشروع يراجع : هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٥٩ . ٦٣ .

(٦٨)عبد الرحمن النقيب : ولد سنة ١٢٦١ هـ في محلة باب الازج في الرصافة الشرقية ببغداد ، يرجع نسبه الى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، تعلم قراءة القرأن والعلوم العالية على يد الشيخ عبد السلام افندي الشواف ، واصبح من المرشحين لعرش العراق بعد الاحتلال البريطاني ، وشغل اول رأيساً للوزراء في العهد الملكي العراقي توفي عام ١٩٢٧ . للتفصيل عنه يراجع : رجاء حسين حسني الخطاب ، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وأراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٩ وما بعدها .

(٦٩)المصدر نفسة ، ص٩ . ٢٥ .

(٧٠)البرت حوراني ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، تعريب : اسعد صكر ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٧ م ، ص٢٧٠ .

(٧١)جعفر الخليلي ، المصدر السابق ، ص٣١٦ .

(٧٢)نوري عبد بخيت السامرائي ، سامراء في حقبة الاحتلال البريطاني ١٩١٧ . ١٩١٨ م ، مجلة سر من رأى ، المجلد ٣ ، العدد ٤ السنة الثانية ، كانون الاول ٢٠٠٦ م ، ص١٠٩ .

(٧٣)جعفر الخليلي ، المصدر السابق ، ص٣١٨ . ٣١٩ .

(٧٤)نوري عبد بخيت السامرائي ، المصدر السابق ، ص١٠٩ .

(٧٥)خالد عبد العزيز القصاب ، المصدر السابق ، ص١٧٠ .

(٧٦)نوري عبد بخيت السامرائي ، المصدر السابق ، ص١١٠ .